

مُلَخَّصٌ

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ

تَأَلَّفَ

المرحوم الشيخ محمد هارون
كبير مفتشي المحاكم الشرعية سابقاً

رتيباً وتهذيباً

أبو الفضل محمد هارون

سكرتير إدارة التحقيق - وزارة المعارف سابقاً

الطبعة الخامسة

حقوق الطبع والنقل محفوظة

الكتبة المشائية

بيروت - لبنان

ص.ب. : ٨٧٣٧

مُلَخَّصٌ
السيرة النبوية

تأليف

المرحوم الشيخ محمد هارون
كبير مفتشى المحاكم الشرعية سابقاً

ترتيب وتهذيب

أبو الفضل محمد هارون

سكرتير إدارة التحقيق بوزارة المعارف سابقاً

الطبعة الخامسة

حقوق الطبع والنقل محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

من جهة أبيه وأمه

هو سيدنا ونبينا محمد . خاتم الأنبياء والمرسلين . ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . بن عبد مناف . بن قصى . بن حكيم . بن مرة . ابن كعب . بن لؤى . بن غالب . بن فهر . بن مالك . بن النضر . ابن كنانة . بن خزيمه . بن مدركة . بن إلياس . بن مضر . بن نزار . ابن معد . بن عدنان .

هذا هو النسب المتفق على صحته . كما اتفقوا على أن النسب المحمدى الشريف . يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . ولكن سلسلة النسب بين عدنان وسيدنا إسماعيل عليه السلام لم يثبت علمها من طريق صحيح .

وأمه صلى الله عليه وسلم : هي آمنه بنت وهب . بن عبد مناف ابن زهرة . بن حكيم . الذى هو الجدد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه . فأبوه وأمه صلى الله عليه وسلم من أصل واحد . يجتمعان فى حكيم بن مرة .

ومن جدودهما : فهر الذى هو قريش ، التى تنسب إليه الأمم القرشية .
المشهود لها بالشرف ورفعة الشأن بين العرب .

وكل اجتماع بين آباءه وزوجاتهم كان شرعياً ، بحسب الأصول العربية فلم يكن في نسبه الشريف شيء من سفاح الجاهلية ، فهو نسب شريف طاهر من آباء طاهرين ، وأمهات طاهرات : والحمد لله رب العالمين .

مولده صلى الله عليه وسلم

وزمن ولادته ومكانها ووفاته والله ﷻ

تزوج عبد الله — والد النبي صلى الله عليه وسلم — آمنه بنت وهب ، وعمره ثمانى عشرة سنة ، وهى يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وأكرمهم خلقاً ، ولما دخل بها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسافر والده عبد الله عقب ذلك بتجارة له إلى الشام ، فأدركته الوفاة بالمدينة (يثرب) وهو راجع من الشام ، ودفن بها عند أخواله بنى عدى بن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه آمنه به ﷻ .

ولما تمت مدة الحمل ، ولدته صلى الله عليه وسلم — بمكة المشرفة في اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، الذى يوافق سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وهو العام الذى أغار فيه ملك الحبشة على مكة ، بجيش تتقدمه الفيلة .

وكانت ولادته على الله عليه وسلم في دار عمه أبى طالب ، في شعب بنى هاشم ، وسماه جده عبد المطلب (محمداً) فوافق ذلك ما جاء في التوراة من

البشارة بالنبي . الذي يأتي من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام ، مسمى بهذا الاسم الشريف ،

كما جاءت البشارة به صلى الله عليه وسلم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه (أحمد) .

وكانت قابله صلى الله عليه وسلم الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحاضنته : أم أيمن بركة الحبشية . أمة أبيه عبد الله .

رضاعه صلى الله عليه وسلم

وما حصل في زمن الرضاع

أرضعته صلى الله عليه وسلم أمه عقب الولادة ، ثم أرضعته ثويبة ، أمة عمه أبي لهب أياما ، ثم جاء إلى مكة نسوة من البادية يطلبن أطفالا يرضعنهم ابتغاء المعروف من آباء الرضعاء ، على حسب عادة أشرف العرب ، فإنهم كانوا يدفعون بأولادهم إلى نساء البادية يرضعنهم هناك ، حتى يتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة . فاختيرت لإرضاعه صلى الله عليه وسلم من بين هؤلاء النسوة « حليمة » بنت أبي ذؤيب السعدية ، فأخذته معها بعد أن استشارت زوجها « أبا كبشة » الذي رجا أن يجعل الله لهم فيه بركة ، فحقق الله تعالى رجاها ، وبدل عشرهم يسرا فدر ثديها بعد أن كان لبها لا يكفي ولدها ودرت ناقتهم حتى أشبعتهم جميعا ، بعد أن كانت لاتغنيهم ، وبعد أن وصلوا به إلى أرضهم ، كانت غنمهم تأتهم شباعا غزيرة اللبن ، مع أن أرضهم كانت

مجدبة في تلك السنة ، واستمروا في خير وبركة مدة وجوده صلى الله عليه وسلم بينهم .

ولما كمل له سنتان ، فصلته حليلة من الرضاع ، ثم أتت به إلى جده وأمه وكلمتهما في رجوعها به وإبقائه عندها فأدنا لها بذلك .

حادثة شق صدره

صلى الله عليه وسلم ورجوعه لأمه

بعد عودة حليلة السعدية به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى ديار بني سعد بأشهر ، بعث الله تعالى ملكين لشق صدره الشريف وتطهيره ، فوجداه صلى الله عليه وسلم مع أخيه من الرضاع خلف البيوت ، فأضجعا وشقا صدره الشريف ، وطهراه من حظ الشيطان ، ثم أطبقاه ، فذهب ذلك الأخ إلى أمه حليلة وأبلغها الخبر ، فخرجت إليه هي وزوجها . فوجداه صلى الله عليه وسلم تمتقع اللون من آثار الروع ، فالتزمته حليلة والتزمته زوجها ، حتى ذهب عنه الروع ، فقص عليهما القصة كما أخبرهما أخوه . وقد أحدثت هذه الحادثة عند حليلة وزوجها خوفا عليه ، وما زادها خوفا أن جماعة من نصارى الحبش ، كانوا رأوه معها فطلبوه منها ، ليذهبوا به إلى ملكهم فخشيت عليه من بقاءه عندها ، فعادت به صلى الله عليه وسلم إلى أمه ، وأخبرت الخبير ، وتركته عندها ، مع ما كانت عليه من الحرص على بقاءه معها .

وفاة أمه صلى الله عليه وسلم

وكفالة جده وعمه له

بعد أن عادت حليلة السعدية به صلى الله عليه وسلم إلى أمه ، وكان إذ ذاك في السنة الرابعة من عمره الشريف ، بقى مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم بمكة ، في حفظ الله تعالى ينبتة الله نباتا حسنا ، ثم سافرت به أمه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، لزيارة أخواله هناك من بني عدى بن النجار فتوفيت وهي راجعة به من المدينة إلى مكة بجهة « الأبواء » بالقرب من المدينة ودفنت هناك ، فقدمت به إلى مكة حاضنته أم أيمن ، وقد بلغ من العمر يومئذ ست سنين ، ولما وصلت به إلى مكة كفله جده عبد المطلب بن هاشم ، وحن إليه حنانا زائدا ، وعطف عليه عطفًا بليغا ، حتى توفي جده عبد المطلب وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين .

وكان جده عبد المطلب يوصى به عمه أبا طالب ، الذي هو الأخ الشقيق لأبيه ، فلما مات عبد المطلب ، كان صلى الله عليه وسلم في كفالة عمه أبي طالب يشب على محاسن الأخلاق ، متباعدًا من صفائر الأمور ، التي يشتغل بها الصبيان عادة .

سفره

صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام
لما أراد أبو طالب أن يسافر إلى الشام في تجارة له ، رغب رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يرافقه ، فأخذه معه ، وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ولما وصلوا بهصرى ، وهى أول بلاد الشام من جهة بلاد العرب ، قابلهم بها راهب من رهبان النصارى اسمه د بجميرا ، كان يقيم فى صومعة له هناك ، فسألهم عن ظهور نبي من العرب فى هذا الزمن ، ثم لما أمعن النظر فى النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه ، عرف أنه النبي العربى ، الذى بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال لعمه : إنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم ، فارجع به واحذر عليه من اليهود ، فلم يمكث أبو طالب فى رحلته هذه طويلا ، بل عاد به إلى مكة حين فرغ من تجارته ، وبقي صلى الله عليه وسلم فى مكة مثال الكمال ، محفوظاً من معائب أخلاق الجاهلية ، شهماً شجاعاً ، حتى إنه حضر مع عمه حرب د الفجار ،^(١) وحلف الفضول^(٢) وسنه إذ ذاك عشرون سنة .

رحلته إلى الشام مرة ثانية

فى تجارة الخديجة بنت خويلد

كان طريق الكسب فى قريش التجارة ، وكانت خديجة بنت خويلد من

-
- (١) هى حرب كانت بين قبيلة كنانة ومعها حليفتها قريش ، وبين قيس ، وقد ابتدأت هذه الحروب فيما بين مكة والطائف ، ووصلت إلى الكعبة ، فاستحلت حرما هذا البيت الذى كان مقدسا عند العرب ، ولذلك سميت حرب الفجار .
- (٢) حلف الفضول : كان عقب هذه الحنب ، وهو تعاقد بطون قريش على أن ينصروا كل من يجدونه مظلوماً بمكة سواء أكان من أهلها أو من غير أهلها .

بني أسد بن عبد العزى بن قصى . سيدة ذات مال : تتاجر فى مالها بطريق المضاربة مع من تثق به من الرجال ، فلما سمعت بأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حتى اشتهر بين قومه باسم (الأمين) بعثت إليه وعرضت عليه أن يسافر بمالها إلى الشام ، وتعطيه من الربح أكثر مما كانت تعطى غيره ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسافر بمالها مع غلامها ميسرة ، فباع واشترى وعاد بربح عظيم .

وقد شاهد ميسرة فى هذه الرحلة كثيراً من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له ، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم الشام ، نزل فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب هناك ، فقال هذا الراهب لميسرة : إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، وكان ميسرة يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلاماً من حر الشمس وهو يسير على بعيره بدون أن تكون معه مظلة .

زواجه صلى الله عليه وسلم

بالسيدة خديجة بنت خويلد

لما قدم ميسرة إلى سيدته خديجة ، وأخبرها بما شاهد من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له . بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عمى قد رغبت فىك لقرابتك وأمانتك ، وصدق حديثك ، وكانت خديجة مرغوباً فيها لشرف نسبها ورفعة قدرها بين قومها فعرض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر إلى أعمامه ، فوافقوه على زواجه

صلى الله عليه وسلم بها وتوجهوا معه إليها وأتموا عقد الزواج بينهما وتولاه عنها عمها عمرو بن أسد . كما تولاه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب وكان صداقها عشرين بكرة ، وكان سن السيدة خديجة أربعين سنة ، وسنه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، ولم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفيت رضى الله عنها ، وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين ، وقد جاء منها بأولاده كلهم — ماعدا إبراهيم — وأولهم القاسم ، وبه كان يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتليه زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله الملقب بالطيب وبالطاهر ، وكانت متزوجة قبله صلى الله عليه وسلم برجل اسمه أبو هالة ، ولدت منه ولداً اسمه هنه ، فكان ربيب رسول الله ﷺ .

بقية أزواجه

صلى الله عليه وسلم وأعمامه وعماته

بعد وفاة السيدة خديجة بأيام ، تزوج صلى الله عليه وسلم بالسيدة سودة بنت زمعة العامرية القرشية^(١) ، ثم تزوج بالسيدة عائشة^(٢) بنت سيدنا أبي بكر

(١) قد كانت من السابقين إلى الإيمان ، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة في المرة الثانية ، وعقب رجوعه منها توفى عنها ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى التى وهبت يومها لعائشة .

(٢) وكانت أفتقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق وكان أكبر الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها ، وما نزل الوحي على النبي ﷺ فى فراش امرأة غيرها .

الصديق رضى الله عنهما وهى بكر صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها . وبنى بها وهى بنت تسع سنين ، وكانت أحب نسائه إليه ، ثم تزوج بالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية ، وتوفيت بعد بناءه بها بشهرين ، ثم تزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة ، ثم تزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث من بنى المصطلق^(١) ، ثم تزوج بالسيدة صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، ثم تزوج بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهى آخر من تزوج بهن .

وقد توفى صلى الله عليه وسلم عن تسعة من نسائه وهم : عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة وسودة ، وجويرية .

وأول من توفى بعده منهن : زينب بنت جحش ، وآخرهن أم سلمة ، وقد تسرى صلى الله عليه وسلم بأربع إماء ، منهن مارية القبطية ، وهى أم ولده إبراهيم الذى توفى قبل الفطام فى السنة العاشرة من الهجرة .

(١) وكانت من سبايا بنى المصطلق ، فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها ليقتنى به المسلمون ، فأعتقوا من كان بأيديهم من نساء بنى المصطلق إكراما لمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فأسلم بنو المصطلق جميعا فكانت جويرية أئمن امرأة على قومها .

وكان أعمامه صلى الله عليه وسلم أحد عشر، لم يسلم منهم سوى سيدنا حمزة ، وسيدنا العباس ، وهو أصغرهم ، ولم يكن منهم شقيق لوالد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أبي طالب ، والزبير .

وعماته ست ، لم يسلم منهن سوى السيدة صفية والدة سيدنا الزبير ابن العوام .

وكان له صلى الله عليه وسلم موال كثيرون ، ذكور وإناث ، أعتق أكثرهم ، منهم زيد بن حارثة ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت سيدنا أسامة بن زيد رضى الله عنه .

وقد تشرف بخدمته صلى الله عليه وسلم كثيرون ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود ، وبلال بن رباح ، وأبو ذر الغفارى .

وكان من كتابه صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان وعلى ، ومعاوية ، والزبير ، وعمر بن العاص ، وكثير غيرهم ، كانوا يكتبون الوحي والعهود ، وكتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء .

شهوده صلى الله عليه وسلم

بناء الكعبة

الكعبة هي أول بيت وضع في الأرض للعبادة ، وقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام . ثم جدد بناؤها من بعده ثلاث مرات ، وكان بناؤها من الصخر وارتفاعها فوق القامة .

وعندما بلغ سن النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة ، اتفق أن

نزل سيل عظيم بمكة ، أثر في جدران الكعبة فأوهنها — على ما كانت عليه من الضعف بسبب حريق أصابها من قبل فاجتمعت قبائل قريش وشرعوا في هدمها وبتائها بناء مرتفعاً ، وكان الأشراف منهم يتسابقون في نقل الحجارة وحملها على أعناقهم . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحمل الحجارة وينقلها إلى مكان البناء ، مع عمه العباس رضى الله عنه .

ولما تم بناء الكعبة (١) . وأرادت قريش وضع الحجر الأسود في موضعه اختلف أشرافهم فيمن يضعه . وظلوا مختلفين أربعة أيام . فأشار عليهم أبو أمية الوليد بن المغيرة ، هو أكبرهم سناً بأن يحكموا بينهم من يرضون بحكمه . فاتفقوا على أن يكون الحكم لأول قادم من باب الصفا (٢) . فكان أول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فارتاحوا جميعاً لما يهدونه من أمانته ، وحكمته ، وصدقه ، وإخلاصه للحق . وقالوا : هذا الأمين رضيناها . هذا محمداً فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر . بسط رداه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعاً . ففعلوا حتى وصرا

(١) ارتفاع ثمان عشر ذواًعا . بحيث يزيد عن أصله تسعة أذرع ، وقد رفع الباب بحيث لا يصعد إليه إلا بدرج .

(٢) أى من الجهة التي كان موضعها — بعد بناء المسجد — باب الصفا ، من أبواب المسجد الحرام . فإن المسجد لم يكن قد بنى وقتئذ ، وكانت البيوت محيطة برحاب الكعبة ، إلى أن بناه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أن أزال البيوت لتوسعة مكانه . ثم جدد بعد ذلك ووسع فيه حتى صار إلى ما هو عليه الآن .

به إلى موضعه . فوضعه فيه بيده صلى الله عليه وسلم ، وبذلك انتهت هذه المشكلة . التي كادت تؤدى إلى الحرب والقتال فيما بينهم .

معيشته صلى الله عليه وسلم

قبل البعثة

ولد — صلى الله عليه وسلم — يتيماً ، ولم يترك له والده مالا ، فبعد أن رجع إلى مكة من منازل بني سعد التي كانت موضع رضاعته كان في كفالة جده عبد المطلب . ثم في كفالة عمه أبي طالب . ولما بلغ سناً يمكنه أن يعمل عملاً . كان في بعض الأحيان يرعى الغنم لأهلها . بأجر يتفق منه على نفسه ؛ ثم كان يعمل في التجارة ، وكان أكثر ذلك في مال السيدة خديجة رضى الله عنها .

فكانت معيشته صلى الله عليه وسلم — منذ قدر على الكسب — من عمل يده مكتفياً بالكفاف ، ومقتصر آمن الدنيا على قدر الحاجة . وهكذا حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . لم يشغلهم الله تعالى بأمر الدنيا إلا على قدر الحاجة . ليتفرغوا لما أراد الله تعالى منهم من إرشاد الخلق إلى طرق السعادة في دار البقاء والخلود

وقد نشأ صلى الله عليه وسلم من مهد طفولته كاملاً ، حفظه الله تعالى

في صغره من معايب الأخلاق (١) . إلى أن بلغ مبلغ الرجال . فكان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة حتى كان يسمى فيما بين قومه (الأمين) وشهد له بذلك العدو والصديق .

وقد حفظه الله تعالى منذ نشأته من قبيح أحوال الجاهلية ، وبغض إليه أو ثائهم حتى أنه من صغره ما كان يحلف بها ، ولا يحترمها ، ولا يحضر لها عبداً أو احتفالاً ، وكان لا يأكل ما ذبح على النصب (٢) ، ولا يشرب الخمر . مع شيوعه في قومه .

وحفظه الله تعالى من النقائص والأدناس قبل النبوة . كما عصمه بعد النبوة .

شيء مما أكرمه الله تعالى به قبل البعثة

وقد أكرم الله آل حليلة السعدية التي أرضعته صلى الله عليه وسلم فبدل عسرهم يسراً ، وأشبع غنياهم ، وأدر دروعها في سنة الجذب والشدة . كما

(١) وورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث له عما كان الله تعالى يحفظه به في صغره من معايب الأخلاق ، أنه كان في غلمان من قريش ينقلون الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان فكان كل واحد منهم يجعل إزاره على رقبتة ليحمل عليه الحجارة فيتعري فجاء من أرشده إلى شد إزاره ، فكان يحمل الحجارة على رقبتة بدون حائل ، وإزاره يستره من بين أصحابه صلى الله عليه وسلم .

(٢) النصب بضم نين : حجارة كانوا ينصبونها ويصبون عليها دم الذبائح ويعبدونها .

بارك سبحانه وتعالى في رزق عمه أبي طالب حينما كان في كفالته مع ضيوف ذات يده كما كان سبحانه وتعالى يسخر له الغمامة تظله - وحده - من حر الشمس في سفره إلى الشام فتسير معه أنى سار ، دون غيره من أفراد القافلة .

وكان سبحانه وتعالى يلممه الحق ، ويرشده إلى المسكram والفضائل في أموره كلها . حتى أنه كان إذا خرج لقضاء حاجة في سفره ، يعد عن الناس حتى لا يرى .

وقد و كان علماء اليهود والنصارى - رهبانهم وكهنتهم - يعرفون زمن مجيئه صلى الله عليه وسلم : بما جاء من أوصافه في التوراة ، وما أخبر به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : فكانوا يسألون عن مولده وظهوره وقد عرفه كثيرون منهم . لما رأوا ذاته الشريفة : أو سمعوا بأوصافه وأحواله صلى الله عليه وسلم .

تعبده صلى الله عليه وسلم

قبل البعثة

كان صلى الله عليه وسلم قبل نبوته . يتتبع ما ثبت عنده وما يرشده الله تعالى إليه من شرائع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، ولا سيما شريعة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فيتعبد بذلك ، ولم تثبت بالأحاديث الصحيحة كيفية تعبد صلى الله عليه وسلم والذي ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حراء من كل سنة شهرا ، وكان يوافق ذلك شهر رمضان يعبد الله تعال بالفكر ، ويطلع المساكين مما كان يتزود به في مدة خلوته .

وكان إذا انتهى من خلوته ، ينصرف إلى الكعبة ، فيطوف بها سبعا ،

أو ماشاء الله من ذلك ، قبل أن يرجع إلى بيته .
وكان يجب العزلة والخلوّة من زمن طفولته ، إلى أن بعثه الله تعالى
رحمة للعالمين .

بدء الوحي وفترة وعودته

كيفية الوحي وطرقه ومبذؤه

وتاريخ النبوة ، والبعثة المحمدية

الوحي : هو ما يلقي إلى الأنبياء من عند الله تعالى ، وله طرق ومراتب
منها الرؤيا الصادقة : فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبيل الوحي
ومنها : أن يلقي الملك في روع النبي وقلبه ، ما يوحى به الله إليه ، من غير
أن يرى له صورة .

ومنها أن يأتي الملك إلى النبي ، متمثلاً بصورة رجل ، فيخاطب النبي حتى
يأخذ عنه بما يقول له ويوحى به إليه . وفي هذه الحالة لا مانع من أن يراه
الناس أيضاً .

ومنها أن يأتي الملك في صورته الأصلية : التي خلقها الله تعالى عليها ويراه
النبي كذلك . فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحى به .

وأحياناً يأتي الملك مخاطباً النبي بصوت وكلام مثل صلصلة الجرس (١)

(١) أى صوته .

وهذه الحالة أشد أحوال الوحي على النبي ، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بهذه الكيفية ، يعرق حتى يسيل العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد ، وإذا أتاه وهو راكب ، بركت به ناقةه .

وقد يكون الوحي بكلام الله تعالى للنبي ، بدون واسطة الملك ، بل من وراء حجاب ، كما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم .

وأول ما بدىء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، من الوحي ، الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا ، إلا حصلت في اليقظة كما رآها ، وذلك عند ما كمل سنه أربعين سنة ، وهو سن الكمال ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، الذي كان فيه مولده صلى الله عليه وسلم .

فلما أراد الله عز وجل إرساله إلى الخلق ، أرسل إليه سيد ملائكته الأمين « جبريل » عليه السلام ، فجاءه متمثلاً بصورة رجل ، وهو في خلوته بغار حراء ، وكان ذلك في شهر رمضان من تلك السنة ، ففاجأه بقوله :

اقرأ فقال : ما أنا بقارىء ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً ، لم يتعلم القراءة — فغطه جبريل عليه السلام في فراشه غطاً شديداً (١) ، ثم أرسله فقال : اقرأ فقال : ما أنا بقارىء . ثم غطه وأرسله فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أى ضمه وعصره بشدة .

وانصرف عنه جبريل ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهله يرجف فؤاده بما أدركه من الروح ، وقال « زملوني »^(١) ، فلما ذهب عنه الروح أخبر زوجته خديجة رضى الله عنها بما كان ، فقالت له : « أبشر يا بن عم واثبت ، فإنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم ذهبت معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخا كبيرا يعرف الإنجيل وأخبار الرسل . فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى .

وبعد ذلك هب الوحي وانقطع مدة تقدر بستين ونصف سنة ، اشتد فيها شوق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحي ، وشق عليه تأخره عنه ، فبينما هو صلى الله عليه وسلم يمشى فى أفنية مكة ، إذ سمع صوتا من السماء ، فرفع بصره ، فإذا الملك الذى جاءه بغار حراء وهو جبريل عليه السلام ، فعاد إليه الرعب الذى لحقه فى بدء الوحي ، وعاد إلى أهله ، وقال « ذرونى ذرونى ، فأوحى الله له تعالى (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيانك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) فكان ذلك مبدأ الأمر له ، صلى الله عليه وسلم بالسعرة إلى الإسلام ، وبعد ذلك تتابع الوحي ولم ينقطع ، حتى أكمل الله تعالى دينه ، وأتم نعمته .

ومما سبق يظهر أن نبوته صلى الله عليه وسلم ، سابقة على رسالته .

(١) أى اطرحوا على الغطاء ولفوني به

الدعوة إلى الإسلام سرا

عندما نزل الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بتبليغ الرسالة للناس ، بل كان الأمر في ذلك قاصر على إبلاغه رسالة ربه إليه ، وتمجيده جل وعلا بما جاء في أوائل سورة (اقرأ باسم ربك) وبعد أن هتر الوحي ، دعا بأمر الله تعالى له بأنه يقوم بتبليغ رسالة ربه .

ولما كان أهل مكة - الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - قوما جفاه ، متخلفين بأخلاق تغلب عليها العزة والأنفة ، وفيهم سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام . التي كانت مقدسة عند سائر العرب يعبدونها ويتقربون إليها بالذبايح والهدايا . ولا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتقادون إليه بسهولة ، كان من حكمة الله تعالى تلقاء ذلك ، أن تكون الدعوة إلى دين الإسلام في مبدأ أمرها سرية ، لئلا يفاجئوا بما يهيجهم وينفرون منه ، ويكون سببا لشن الغارات والحروب وإراقة الدماء .

والداعي - صلوات الله عليه وسلامه ، لم يكن له إذذاك ناصر ولا معين من خلق الله ، ومن سنة الله تعالى في خلقه ربط الأسباب بالمسببات ، فلم يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالجرير بالدعوة من قبل أن يهيء له أسباب النصر والفوز على من يقاومه في ذلك ، خصوصا أن قومه الذين بعث فيما بينهم كانوا أشد الناس تمسكا بمعبوداتهم ، وحرصا على ما كان عليه آبائهم .

ومن الناس من هو عظيم في قومه ، رفيع الدرجة فيما بينهم ، ومنهم من هو دون ذلك فالعظماء من الناس تمنعهم أنفتهم من إجابة الداعي لهم ، إلى مفارقة ما عليه جماعتهم ، ونبتد ماينهم من الروابط القومية ، والعادات المتأصلة إذ كل فرد منهم يرى أن انفراد بالرضوخ للصغير ، ينقصه في نظر قومه ، فإذا فوجيء هؤلاء الأعاظم بإعلان الدعوة إلى غير ما كانوا عليه ، ظهروا بمظهر المنكر المعاند ، وقاوموا الدعوة بجملتهم .

وغير العظماء تع للعضاء والرؤساء فإذا دعوا إلى مخالفة ما عليه أولئك العظماء جهاراً لم يحسروا على إجابة الداعي ، متى لم يسبقهم إلى ذلك أفراد من العظماء .

فإعلان الدعوة يحتاج إلى مقدمة يستأنس بها الفريقان ، وما ذلك إلا باجتذاب أفراد من هؤلاء وهؤلاء خفية ، حتى إذا تكونت منهم جماعة وأعلنت بهم الدعوة ، سهل على غيرهم أن يفتدوا تقاليد قومهم ويتبعوا مايدعوم إليه الداعي مما تنشرح لهم صدورهم ولا تأباه فطرتهم .

وقد ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة الإفرادية فيمن يعرفهم ويعرفونه ، ويطمئن إليهم ، ويثق بهم ، ويتوسم فيهم الخير وحب الحق من أهله وعشيرته ، فبادر إلى التصديق والإيمان به أفراد قليلون ، كانوا يخفون إسلامهم عن عداهم . ويقىمون صلاتهم . وما أمروا به من العبادات خفية لا يظهرن بذلك في مجامع قريش ، بل ربما كان الواحد منهم يحتفى لعبادته عن أهله وولده ، وكانوا يجتمعون بالنبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا

وجامعات مع الاختفاء والتحاشي عن الظهور ، ولما بلغوا عدداً يربو على
الثلاثين ، اختار لهم النبي صلى الله عليه وسلم داراً مسيحة من دورهم يجتمعون
فيها معه لإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم .

وكان أول من بادر إلى الإسلام : خديجة بنت خويلد زوجته صلى الله
عليه وسلم . وابن عمه علي بن أبي طالب وعمره إذ ذاك عشر سنين ، وكان
مقيماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزيد بن حارثة الذي كان مملوكاً
للسيدة خديجة ووهبته للنبي صلى الله عليه وسلم . وأعتقه وتبناه . وزوجه
مولاته وحاضنته أم أيمن . وقد كانت أيضاً من السابقين إلى الإسلام .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه . وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم
قبل النبوة . يعرف صدقه . فعندما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال
« بأبي أنت وأمي ، أهل الصدق أنت . أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول
الله » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه « ماعدت أحداً إلى الإسلام ،
إلا كانت له كبوة ، غير أبي بكر » ، وكان رضي الله عنه عظيماً في قومه ،
يشقون برأيه فدعا إلى الإسلام من توسم فيهم الإجابة ، فأجابه عثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن
عبيد الله ، وأتى بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، ثم أسلم أبو عبيدة
عامر بن الجراح وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وسعيد بن زيد العدوي
وأبو سلمة الخزومي وخالد بن سعيد بن العاص وعثمان بن مظعون وأخواه
هدامة وعبيد الله ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وكل هؤلاء من بطون قريش :

ومن غيرهم: صهيب الرومي ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري وعبدالله ابن مسعود وغيرهم .

وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنين . أسلم فيها جماعة لهم شأن في قريش . وتبعهم غيرهم . حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به الناس فجاء وقت الجهر بالدعوة .

الجهر بالدعوة

بعد أن مضى على الأسرار بالدعوة ثلاث سنين . كثر دخول الناس في دين الإسلام من أشرف القوم وهو اليهم رجاء لهم ونسأهم ففشا ذكر الإسلام بمكة . وتحدث به الناس . فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة وأنزل عليه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبادر بامتثال أمر ربه . وأعلن لقومه الدعوة إلى دين الله تعالى وصعد على الصفا ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا قال لهم « أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقني ؟ » قالوا : نعم ! ما جربنا عليك كذباً فقال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، ثم أنزل الله تعالى على رسوله (وأنذر عشيرتک الأقرين) فجمع من بين عبد مناف نحو الأربعين . وقال لهم « ما أعلم إنساناً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به وقد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، .

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعلان الدعوة إلى الله وتوحيده حتى ظهر لقومه أن هذه الدعوة فيها عيب معبوداتهم الباطلة وتسفيه عقول من يعبدونها فنفروا منه وأظهروا له العداوة فذهب جماعة منهم إلى عمه أبي طالب وطلبوا منه أن يمنعهم عن عيب آلهتهم ، وتضليل آبائهم ، وتسفيه عقولهم ، أو يتنازل عن حمايته ، فردهم أبو طالب رداً جميلاً واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصدع بأمر الله تعالى ، وينشر دعوته ويحذر الناس من عبادة الأوثان ، ولما لم يطيقوا الصبر على هذا الحال ، عادوا إلى أبي طالب وطلبوا منه أن يسكفه ، أو ينازله وإياه في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم الأمر على أبي طالب ، وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ، « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ، فقال أبو طالب : اذهب فقل ما أحببت فوالله لأأسلمك لشيء أبداً .

ولم أر أن قریش تصمىم أبى طالب على نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق بنى هشام ، وبنى المطلب معه في ذلك ، وكان وقت الحج قد قرب وخافوا من دعوته في أنفس العرب الوافدين لزيارة الكعبة ، اجتمعوا وتداولوا فيما يصنعون في مقاومة ذلك .

ثم اتفقوا على أن يذيعوا بين الوافدين إلى مكة من العرب ، أنه ساحر جاء بقول هو سحر ، يفرقه بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء

وزوجته ، وبين المرم وعشيرته ! اوصاروا يجلسون بالطرق ، حين جاء موسم الحج ، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكر والده أمره .

ولكن الله تعالى أراد أن يكون ذلك سبباً في شيوع دعوته صلى الله عليه وسلم ، في بلاد العرب كلها .

ولما رأت قريش أنهم لم يفلحوا في إرجاع أبي طالب عن نهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايته ، وأنه قد انضم إليه في ذلك غيره وأن دعوة رسول الله في انتشار ، وأن المؤمنين به في ازدياد ، لجأوا إلى طريقة الأذى ، فأغروا سفهاءهم أن يتظاهروا بالاستهزاء برسول الله وإيذائه ، خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة ، وكان أبو جهل يحاول منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند الكعبة ، وقد أراد مرة أن يرض رأسه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، ولكن الله تعالى حفظه منه ، فإنه لما قرب منه خاتمه قواه ، وسقط من يده الحجر الذي أعده لذلك ورجع إلى قومه مذعوراً ممتقع اللون ، وهو يقول : إنه قد تعرض لي لخل مارأيت مثله قط ! هم بي لياكلى ، وقد تمثل جبريل عليه السلام بهذه الصورة حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتمادى ذلك الفاجر هو وأعوانه ، ومنهم عقبة بن أبى معيط ، في التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يحفظه ويرد كيدهم في نحورهم .

وكان أبو هب - وهو عمه عليه الصلاة والسلام - أشد عليه من الأبعاد وكان من المؤذنين : العاص بن وائل السهمي ، والد عمرو بن العاص ، والأسود ابن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب الأسدي ، ابن عم السيدة

خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، والوليد بن المغيرة ، عم أبي جهل ،
والنضر بن الحارث العبدي ، ولم يسلم من هؤلاء أحد ، بل أهلكهم الله تعالى
على الكفر ، ما بين قتيل في غزوة بدر ، ومعذب بأشد الأمراض وأشنعها .
والله عزيز ذو انتقام .

ولما رأى كفار قريش ، أن طريق الأذى الذى لجأوا إليه ، لم يجدهم نفعا
فيما يريدون اجتماعا للشورى فيما يعملون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لإرجاعه عن أمره ، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة العبشمى —
وكان من عظمائهم - ليعرض عليه أموراً ، لعله يقبلها عن هذه الدعوة ، فذهب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى فى المسجد ، وقال له : يا ابن أختى
إليك من خيارنا حسباً ونسباً ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به
جماعتهم . وسفهت به أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، ومن مضى من آباؤهم
فإن كنت تريد بما جئت به من الأمر مالا . جمعنا لك من أموالنا . حتى تكون
أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا . سودناك علينا حتى لا نقطع أمرنا دونك
وإن كنت تريد ملكا . ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتىك ربنا من
الجن^(١) . لا تستطيع رده عن نفسك . طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا
حتى نبرئك منه . فلما فرغ من كلامه قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم سورة
من القرآن ، فرجع عتبة إلى قومه وقال لهم : يا معشر قريش ! لقد سمعت
قولا ما سمعت مثله . والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . فأطيعوني
وامتنعوا عن الرجل ، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت شأن ، فإن تصبه

(١) يقال رئى من الجن : أى مس .

العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم . فقالوا : لقد سحرك محمد .

ولما لم تنفعهم هذه الحيلة . عمدوا إلى حيلة أخرى فعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن يشاركهم في عبادتهم ، ويشاركوه في عبادته ١١ فأنزل الله تعالى عليه سورة (قل يا أيها الكافرون) فلما يتسوا من ذلك . طلبوا منه أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الأوثان ، والوعيد الشديد . فأنزل الله تعالى عليه (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى) .

ولما رأوا أن كل ذلك لم ينفعهم شيئاً . لجأوا إلى طرق التعجيز . واستمروا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسئلة تعنت وعناد ، مثل قولهم (إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً^(١)) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً^(٢)) أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً^(٣)) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، وإن تؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) .

وكان يجيبهم عن ذلك بما يأمره الله تعالى به . مثل قوله تعالى :

(قل سبحان ربي . هل كنت إلا بشراً رسولاً)

(١) أى عيناً غزيرة لا ينقطع ماؤها .

(٢) أى قطعاً .

(٣) أى كقبيلة بما تقول . شاهدأ بصحته .

أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة

لما عجزت قريش عن مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالطرق .
السابقة لجأوا إلى استعمال الشدة والأذى مع أصحابه ، فكل قبيلة كانت تسمى
إلى من أسلم منها ، وهم يتحملون تلك الإساءات بالصبر الجميل ، فلم يفتتوا عن
دينهم ، بل ثبتوا على يقينهم .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من الأذى ،
وهم غير قادرين على منعه ، لقلّة عددهم ، وعدم استعدادهم إذذاك ، أشار عليهم
أن يهاجروا إلى الحبشة ، حتى يجعل الله لهم فرجاً ما هم فيه ، فهاجر إليها منهم
عشرة رجال ، وخمس نسوة ، في مقدمتهم سيدنا عثمان بن عفان رضی الله عنه
وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكثوا هناك ثلاثة أشهر ،
رجعوا بعدها إلى مكة ، ولم يتمكنوا من دخولها إلا في حماية من أجارهم من
عظيمة القوم ، وفي ذلك الوقت أسلم عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، وكان عمره
حين إسلامه ستاً أو سبعمائة وعشرين سنة ، ولما أسلم قال المشركون : قد اتصف
القوم منا اليوم !

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش ، عرضوا على بنى عبدمناة ، دية مضاعفة
ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبل ذلك بنو عبدمناف ،
فعرضت قريش على أبي طالب أن يعطوه فتى من فتيانهم ويسلم إليهم ابن أخيه
رضي الله عنه ، وقال لهم : عجبا لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابني
تقتلونه .

ثم اتفق كفار قريش على مقاطعة بني عبد مناف ، وإخراجهم من مكة والتصديق عليهم ، فلا يعاملونهم ببيع ولا شراء حتى يسلبوا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة ، تؤكداً على أنفسهم بذلك . فالتجأ بنو عبد مناف . مسلمهم ، وكافرهم ، إلى أبي طالب . ودخلوا معه في شعبه ، فحاصرهم فيه كفار قريش مدة تقرب من ثلاث سنين ، حتى نفذ ما عندهم من الزاد ، واضطروا لأكل أوراى الأشجار . وبعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب ، أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر إليها منهم ثلاثة وثمانون رجلاً من بطون قريش ومعهم من نساءهم سبع عشرة امرأة ، ومن أخذوا من أولادهم ، ولما وصلوا إلى الحبشة - وكان ملكها عادلاً - أكرمهم ، وأمنهم على عبادتهم . ومكثهم من إعلانها فلما علمت قريش بذلك . أرسلت إلى نجاشى الحبشة وقدأ يحمل إليه وإلى بطارفته الهدايا ليرد هؤلاء المهاجرين ، ويمنعهم من الإقامة في أرضه فلم يرض النجاشى بذلك بل استحضر المهاجرين إليه ، وسألهم عما هم عليه من الدين فكلّمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . وأبان له ما كانت عليه حالتهم قبل الإسلام ، وما جاءهم به الإسلام عن ترك عادة الأوثان ، وإفراد الله تعالى بالعبادة . وما أُرشدهم إليه من مكارم الأخلاق ؛ وقرأ عليه جعفر أول سورة « مريم » المشتملة على قصة مولد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، فقال النجاشى : إن هذا مثل الذى جاء به المسيح . ثم سألهم عما يتقوله عليهم وقد قريش في حق المسيح ، فقال جعفر : نقول فيه الذى جاء به نبينا « هو عبد الله ، ورسوله ، وروحه وكتبته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فقال

النجاشي : إن عسى بن مريم لا يزيد على ذلك . ثم قال للهاجرين : اذهبوا
فأتم آمنون . ورد على وفد قريش هداياهم . فرجعوا إلى قومهم خائبين .

بيعة أهل المدينة

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن كفار قريش لا ينفكون
عن مقاومته ومعارضته في تأدية رسالة ربه ، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه
على غيرهم من كبار العرب عسى أن يجد منهم حماية وعضداً يعينه على تأدية
الرسالة ، وتبليغ الدعوة . فكان صلى الله عليه وسلم يخرج في مواسم الحج داعياً
وأسواقهم التي كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة ، وخصوصاً موسم الحج داعياً
إياهم إلى الله تعالى قارناً عليهم القرآن الكريم . طالباً منهم نصره حتى يؤدي
رسالة ربه . فلم يكونوا يجيبونه . إلى أن قدم وفد من المدينة المنورة من قبيلة
(الأوس) يريدون أن يعقدوا حلفاً مع قريش لينصروهم على بني عمهم
(الخزرج) فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدمهم قابلهم وقال لهم هل لكم
في خير مما جئتم له ؟ أنا رسول الله ، بعثني الله إلى العباد . أدعوهم إلى أن يعبدوه
ولا يشركوا به شيئاً ، وتلا عليهم شيئاً من القرآن ، وذكر لهم أمور الإسلام .
فقال بعضهم إلى قبول الإسلام ، وأبى الآخرون . فانصرف الجميع إلى المدينة
دون أن يسلبوا ، ثم وفد في موسم الحج جماعة من الخزرج ، فقابلهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه
وكانوا ستة رجال . فأسلموا جميعاً ووعدهوا المقابلة في الموسم المقبل وهم أول
من أسلم من عرب المدينة . فلما كان العام المقبل . وقدم خمسة منهم في اثني عشر

رجالاً. عشرة من الخزرج ، واثنان من الأوس ؛ واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وأسلم باقهم ، وبايعوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بيهتان يفترونه بين أيديهم ، وأرجلهم ولا يعصوه في معروف ، وأرسل معهم من يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين . وبذلك انتشر الإسلام في دور المدينة وصار حديث القوم في مجتمعاتهم ونواديهم . وقد سميت هذه البيعة : (بيعة العقبة الأولى) .

وفي موسم الحج . في العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى . وفد إلى مكة كثيرون من أهل المدينة . فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدهم بالمقابلة ليلاً عند العقبة وأمرهم أن يكتبوا أمرهم . فلا يطلع على ذلك أحد من كفار قريش . فتوجهوا إلى مواعدهم في منتصف الليل وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان باقياً على دين قومه ، وإنما أحضره معه ليتوثق له فلما اجتمعوا . قال لهم العباس : إن ابن أخى هذا لم يزل في منعة من قومه . فإن كنتم ترون أنكم قوامون له بما دعوتوه إليه من البيعة وما نعوه ممن خالفه . فأنتم وما تحملتم من ذلك . وإلا فدعوه بين عشيرته فقال كبيرهم : إنما نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم شروط البيعة ؟ فقال : أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى أن تمنعوني بما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم ، فبايعوه على ذلك ، وكانوا ثلاثاً وسبعين رجلاً . منهم اثنان وستون من الخزرج . وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان . وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية) .

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثني عشر نقيبا . تسعة من الخزرج . وثلاثة من الأوس . وقال لهؤلاء النقباء « أتم كفلاء على قومكم كل على عشيرته » فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام فيها أكثر من المرة الأولى .

وقد شعرت قريش بهذه البيعة . فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالهجرة إلى المدينة . فصاروا يتسللون إليها وحداها وجماعات مختمين عن أعين قريش . حتى إنه لم يبق بمكة إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب . وقليلون ممن لم يقدرُوا على الهجرة ، وقد أراد أبو بكر رضی الله عنه الهجرة فأشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالهجرة فانتظر أبو بكر رضی الله عنه . وأعد لذلك راكبتين كانتا عنده لإحداهما هو الأخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصاحبه أبو بكر الصديق رضی الله عنه

من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

لما علم كفار قريش أن رسول الله ﷺ صارت له شيعة وأنصار من غيرهم . ورأوا مهاجرة أصحابه إلى أولئك الأنصار الذين بايعوه على المدافعة عنه حتى الموت . اجتمع رؤساؤهم وكبارهم في دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل منهم : نحبسهم مكبلا بالحديد حتى يموت . وقال آخر : نخرجه وتنفيه من بلادنا . فقال أحد كبارهم : ما هذا

ولا ذاك برأى ، لأنه إن حبس ظهر خبره فيأتى أصحابه وينزعونه من بين أيديكم . وإن نفي لم تأمنوا أن يتغلب على من يحل بحبهم من العرب بحسن حديثه وحلاوة منطقه ، حتى يتبعوه ، فيسير بهم إليكم؛ فقال الطاغية أبو جهل الرأي أن نختار من كل قبيلة فتى جلدأ ثم يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل جميعا فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل ، فأعجبهم هذا الرأي، وانفقوا جميعا ، وعينوا الفتيان والليلية التي أرادوا تنفيذ هذا الأمر في سحرها فأعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بما أجمع عليه أعداؤه ، وأذن له سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) فذهب إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وأخبره وأذن له أن يصحبه . واتفقا على إعداد الراحلتين اللتين هياهما أبو بكر الصديق لذلك . واختارا دليلا يسلك بهما أقرب الطريق ، وتواعدا على أن يبتدئا السير في الليلة التي اتفقت قريش عليها وفي تلك الليلة أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه على بن أبي طالب أن ينام في مكانه . ويتغشى بغطائه ، حتى لا يشعر أحد بمبارحته بيته . ثم خرج صلى الله عليه وسلم وفتيان قريش متجهرون على باب بيته وهو يتلو سورة « يس » فلم يكذب يصل إليهم حتى بلغ قوله تعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فجعل يكررها حتى ألقى الله تعالى عليهم النوم ، وعميت أبصارهم فلم يبصروه ، ولم يشعر وابه وتوجه إلى دار أبي بكر ، وخرجا معا من خوذة في ظهر البيت وتوجها إلى (جبل ثور) بأسفل مكة فدخلا في غارة ، وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروجه صلى الله عليه وسلم فلما تبين لقريش أن فتيانهم إنما باتوا يحرسون على بن أبي طالب ، لا محمدأ صلى الله عليه وسلم ، هاجت

عواطفهم ، وارتكبوا في أمرهم ، ثم أرسلوا رسلكم في طلبه والبحث عنه من جميع الجهات ، وجعلوا لمن يأتيهم به مائة ناقة ، فذهبت رسلكم تقمى أثره ، وقد وصل بعضهم إلى ذلك الغار الصغير الذي لو التفت فيه قليلا لرأى من فيه فخرن أبو بكر الصديق رضى الله عنه لظنه أنهم قد أدركوهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن إن الله معنا ، فصرف الله أبصار هؤلاء القوم وبصائرهم ، حتى لم يلتفت إلى داخل ذلك الغار أحد منهم بل جزم طاغيتهم ، أمية بن خلف بأنه لا يمكن اختفاؤهما به لما رأوا من نسج العنكبوت وتعشيش الحمام على بابيه .

وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال حتى ينقطع طلب القوم عنهما ، وكان بيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، ثم يصبح في القوم ويستمع منهم الأخبار عن رسول الله وصاحبه ، فيأتيهما كل ليلة بما سمع وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام في كل ليلة من هذه الليالي ، وقد أمر عبد الله بن أبي بكر غلامه بأن يرعى الغنم ويأتي بها إلى الغار ليخفى أثره وأثر أسماء .

وفي صبيحة الليلة الثالثة من ميبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ، وهي صبيحة يوم الإثنين في الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة الهجرة وهي سنة ثلاث وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم وسنة ثلاث عشرة من البعثة المحمدية جاءهما بالراحلتين عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله ابن أريطة الذي كانا استأجراه ليدلها على الطريق فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة لخدمتهما وسلك بهما الدليل أسفل مكة ثم مضى بهما في طريق الساحر ، وبينما هم في الطريق إذ لحقهم سراقة بن مالك المدلجي ، فلما قرب (٣ - ما يخص السيرة)

صنم عثرت فرسه حتى سقط عنها ، ثم ركبها وسار حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساحت قوائم فرس صرافة في الأرض فسقط عنها ، ولم تهض إلا بعد أن استغاث صاحبها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شاهد غباراً يتصاعد كالدخان من آثار خروج قوائم فرسه من الأرض ، فداخله رعب شديد ، ونادى يطلب الأمان ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى جاءهم وعرض عليهم الزاد والمتاع ، فلم يقبلوا منه شيئاً ، وإنما قال له : أكرم عنا ، فسألهم كتاب أمن ، فكتب له أبو بكر ما طلب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد صرافة من حيث أتى ، كأنما مارأى ، واستمر رسول الله وصاحبه في طريقهما حتى وصلا بقباء^(١) ، في يوم الإثنين من ربيع الأول ، فنزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى عمرو بن عوف ، ونزل أبو بكر رضى الله عنه بالسنع^(٢) على غلوجة بن زيد ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ليالى أنشأ فيها مسجداً ، وصلى فيه عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار وقد أدركه صلى الله عليه وسلم بقباء على بن أبي طالب رضى الله عنه بعد أن أقام بمكة بعده بضعة أيام ليؤدى ما كان عنده من الودائع إلى أربابها .

وقد كان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون خارج المدينة يترقبون مقدمه كل يوم ؛ حتى يردم حر الظهيرة ،

(١) موضع بضاحية المدينة .

(٢) محلة بالمدينة .

فبعد أن رجعوا إلى منازلهم يوما سمعوا من ينادى بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا حظكم الذي تنتظرون ، فخرجوا وتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة (١) قبل نزوله بقباء .

ثم تحول عليه الصلاة والسلام من قباء إلى المدينة ، يحيط به الأنصار فرحين . متقلدي سيوفهم ما بين ماش وراكب . يتنازعون زمام ناقته . كل يريد أن ينزله في داره ، والنساء والصبيان والولائد ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان ذلك في يوم الجمعة ، فأدركته صلواتها في ديار بني سالم بن عوف فنزل وصلاتها ، ثم ركب وسار ، وكلما مر على دار من دور الأنصار يتضرع إليه أهلها أن ينزل عليهم ، ويأخذون بزمام ناقته فيقول :

« دعوها فإنها مأمورة ، فلم تزل سائرة حتى أتت فناء بنى عدى بن النجار ، أحواله صلى الله عليه وسلم . فبركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري ، فقال عليه الصلاة والسلام : ههنا المنزل إن شاء الله تعالى ، ونزل بدار أبي أيوب وأقام بها شهراً حتى اشترى الموضع الذي بركت فيه الناقة ، وبنى فيه المسجد ، وبنى بجواره حجرتين لزوجتيه عائشة وسودة ، وأرسل إلى مكة من استحضر له أهله ، كما أرسل أبو بكر رضى الله عنه من استحضر أهله ، فقدمت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة وأم كلثوم بنتاه ،

(١) هي الأرض ذات الحجارة السوداء .

وقدم عبدالله بن أبي بكر بزوجة أبيه وأخته عائشة ، وأسماء زوج الزبير ابن العوام وتلاحق المهاجرون فلم يبق من المسلمين إلا قليل ممن لم يتيسر لهم الرحيل ، أما زينب ابنته صلى الله عليه وسلم فمنعها زوجها أبو العاص ابن الربيع .

ولما تمت الهجرة إلى المدينة ، تنافس الأنصار في المهاجرين ، كل يريد أن يكون له منهم الحظ الأوفر ، فكانوا يقتربون عليهم في النزول ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوى الإخاء بينهم ، فآخى بين كل أنصاري ونزله من المهاجرين ، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وذلك أعلى درجة تقضيها الأخوة في الله تعالى .

الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، من مكة إلى المدينة المنورة بقليل أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج .

أما الإسراء : فهو توجهه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (بالشام) ليبريه الله سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم .

فقد ركب صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى - البراق ، وهو دابة ربيست كدوابنا هذه ، وإنما هي شيء سخره الله تعالى لرسوله إكراما وتعظيما

يضع ذلك البراق حافره عند منتهى طرفه فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى وصل إلى بيت المقدس في ليلته فدخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إماما .

وأما المعراج فهو بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس ركب البراق وصعد به إلى السموات ، فكان كلما وصل إلى سماء يستفتح جبريل فيقال : من أنت ومن معك ؟ فيقول : جبريل ومحمد . فيقال : أوقد بعث إليه ؟ فيقول : نعم . فيفتح لهما مع الترحيب والدعاء بالخير حتى اتھيا إلى السماء السابعة ، وبعدها توجه صلى الله عليه وسلم إلى سدرۃ المنتهى ، وهناك شاهد ما لا تدرك العقول البشرية حقيقته ، وأوحى الله تعالى إلى نبيه ما أوحى ، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته في ذلك الوقت خمسين صلاة في كل يوم وليلة . ونزل صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى السماء السادسة ولقي فيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته ، فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف ، فإن أمته لا تطيق ذلك . فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى جعل الله تعالى المهرضة خمسا في الفعل ، وخمسين في الأجر .

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة من ليلته ، فلما أصبح ذهب إلى قريش ، فأخبر القوم بما رآه ، فكذبوا من كذب ، وارتد بعض ضعاف القوم عن الإسلام ، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس ، فوصفه كما هو ،

ثم سأله عن غير (١) لهم في الطريق ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ،
ووقت قدومها ، فكان كما قال ، ومع ذلك لم تردعهم تلك الأدلة الظاهرة
عن عنادهم وكفرهم . إلا من وفقه الله تعالى وأثبته على دين الإسلام ، وفي
صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأراه كيفية
الصلوات الخمس وأوقاتها ، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين صباحا ،
وركعتين مساء ، كصلاة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة
وآم التسليم .

تم القسم الأول

ويليه القسم الثاني



(١) قافلة تحمل تجارتهم .

القسم الثاني

القسم الثاني

من ملخص السيرة النبوية

الغزوات

أسباب الغزوات . ومشروعية القتال

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكان بها اليهود من بنى قينقاع ، وقريظة ، والنضير ، أقرهم عليه الصلاة والسلام على دينهم وأموالهم ، واشترط لهم وعليهم شروطاً . وكانوا مع ذلك يظهرون العداوة والبغضاء للمسلمين ، ويساعدون جماعة من عرب المدينة ، كانوا يظهرون الإسلام وهم في الباطن كفار ، وكانوا يعرفون بالمنافقين يرأسهم عبد الله ابن أبي بن سلول ، وقد قبل صلى الله عليه وسلم من هاتين الفئتين (اليهود والمنافقين) ظواهرهم ، فلم يحاربهم ولم يحاربوه . بل كان يقاوم الإنكار بالحجج الدامغة والحكم البالغة ، ولم يكن يقاتل أحداً على الدخول في دين الله بل كان يدعو إليه ويجاهد في سبيله بإقامة ساطع الحجج ، وقاطع البراهين ولكن لما كانت قريش أمة معادية له مقاومة له ، لدعوه ومعارضة له فيها . وقد آذته وآذت المسلمين ، وأخرجتهم من ديارهم واستولت على مآثر كونه بمكة من الأموال وآذت المستضعفين الذين لم يقدررا على الهجرة أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقتال كل معتمد صادق الدتوة . فأول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ، مصادرة تجارة قريش التي كانوا يذهبون بها إلى الشام والتي يجلبونها منها .

وكان بعد ذلك عندما تدعو الحال لقتال من يقف في وجه الدعوة من قريش أو غيرهم ، يخرج إلى القتال بنفسه ومعهم المقاتلون من المسلمين وتارة يبعث من المقاتلين من يختاره لقيادتهم ، وقد سمي المؤرخون ماخرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه (غزوة) سواء أحارب فيها أم لم يحارب ، وسماها ببعث فيه أحد القواد (سرية) .

وفي السنة الأولى : من الهجرة ، بعث سريتين .

وفي السنة الثانية : غزا بنفسه سبع غزوات ، وبعث سرية واحدة ، وأكبر غزواتها غزوة بدر .

وفي السنة الثالثة : غزا بنفسه أربع غزوات ، وبعث سرية واحدة ، وأهم غزواتها أحد .

وفي السنة الرابعة : غزا ثلاث غزوات . وبعث ثلاث سرايا .

وفي السنة الخامسة : غزا أربع غزوات . أشهرها غزوة الخندق .

وفي السنة السادسة : غزا ثلاث غزوات ، وبعث إحدى عشر سرية ومن غزواتها غزوة الحديبية .

وفي السنة السابعة : غزا غزوة واحدة ، وهي غزوة خيبر ، وبعث ثلاث سرايا .

وفي السنة الثامنة : غزا أربع غزوات ، وبعث عشر سرايا ، وأكبر غزواتها غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين .

وفي السنة التاسعة : غزا غزوة واحدة ، وهي غزوة تبوك وبعث سرية واحدة .

وفي السنة العاشرة : بعث سريتين وفيها حج حجة الوداع .
وفي السنة الحادية عشرة : بعث سرية واحدة .

فجملة الغزوات التي حرج للقتال فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون غزوة ، وجملة السرايا التي بعث فيها القواد ولم يخرج فيها بنفسه خمس وثلاثون سرية .

غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتشترى فتمر في ذهابها وإيابها بطريق المدينة ، ففي شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة ، بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام في غير كبير (١) حرج بها أبو سفيان بن حرب في بضعة وثلاثين رجلا من قريش فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حرج إليهم في مائة وخمسين رجلا من المهاجرين ، فلم يدركهم ، ولما علم برجوعهم من الشام خرج إليهم في العشر الأوائل من شهر رمضان . في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار ، معهم فرسان ، وسبعون بعيرا وسار حتى عسكر بالروحاء (٢) . وكان أبو سفيان حين قرب من الحجاز يسير محترسا ، فلما علم بمحورج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الطريق المسلوكة ، وسار بساحل البحر ، ثم بعث رجلا إلى مكة ليخبر قريشا ، ويستنفرهم لحفظ أموالهم ، فقام منهم تسعمائة

(١) كانوا يسمون الركب الخارج بالتجارة غيراً .

(٢) موضع على بعد أربعين ميلا من جنوب المدينة .

وخمسون رجلا ، فيهم مائة فارس وسبعائة بعير ، فلما علم رسول الله ﷺ بخروج هذا الجمع ، استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام ، فارتحل حتى وصل قريبا من وادى بدر ، فبلغه أن أباسفيان قد نجا بالتجارة ، وأن قريشا وراء الوادى لأن أباجهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدرأ فينحزروا ويطعمون الطعام ويسقوا الخمر فتسمع بهم العرب وقتابهم أبدأ ، فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعدوة القصوى (١) من الوادى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى نزلوا بالعدوة الدنيا من الوادى ، ولم يكن بها ماء فارسل الله تعالى الغيث ، حتى سال للوادى . فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم . وتلبدت لهم الأرض حتى سهل المسير فيها . أما الجهة التي كان بها المشركون ، فإن المطر أوحلها فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم . وأمر ببناء -وض يملأ ماء لحيشه ، كما أمر بأن يغور ماوراه من الآبار حتى ينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين . ثم أذن لأصحابه أن يبنوا له عريشا يأوى إليه . فبنى له فوق تل مشرف على ميدان القتال .

فلما تراءى الجيشان (٢) قام النبي صلى الله عليه وسلم بتعديل صفوف جيشه حتى صاروا كالأبنان المرصوص : ونظر لقريش فقال اللهم هذه قريش ، قد أبليت بخيالاتها ونفرها ، تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين . وهم عتبة بن ربيعة وابنه

(١) عدوة الوادى : شاطئه ، القصوى : البعيدة ، والدنيا : القريبة .
(٢) وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة .

الوليد وأحوه شيبه وطلبوا من يخرج إليهم . فبرز لهم ثلاثة من الأنصار فقال المشركون إنما نطلب أكفأنا من بني عمنا (أى القرشيين) فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبى طالب فكان حمزة يازاه شيبه ، وكان عبيدة يازاه عتبة ، وكان على يازاه الوليد . فأما حمزة وعلى فقد أجهز كل منهما على مبارزه وأما عبيدة فقد ضرب صاحبه ضربة لم تمته وضربه صاحبه مثلها . فجاء على وحمزة فأجهزا على مبارز عبيدة وحملا عبيدة وهو جرح إلى صفوف المسلمين (١) .

ثم بدأ الهجوم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يشجع الناس ويقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وأخذ من الحصاء حفنة ورى بها فى وجوه المشركين قائلا : « شأنت الوجوه » (٢) ، ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم خمي الوطيس (٣) وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر ، فلم تك إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأمرون . فقتلوا منهم سبعين رجلا وأمروا سبعين ومن بين القتلى كثير من صناديدهم .

ولما انتهت الواقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين كما أمر بإلقاء قتلى المشركين فى قليب بدر ، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا رضى الله عنهم .

(١) وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه .

(٢) شأنت الوجوه : قبحت .

(٣) أى اشتدت الحرب .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم لجمعة ، وأرسل من
عشيرة أهل المدينة بالنصر ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى
المدينة فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن في حكمهم من الخلفين لمصلحة ، وحفظ
الورثة الشهداء أسبهم . وأما الأسرى : فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن
يستبقهم ويقبل الفداء من قريش عن توريد فداءه فبعثت قريش بالمال لفداء
أمرأها ، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب
تمزله فيهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة
من غلمان المسلمين يعلمهم فكان ذلك فداءه .

وكان من الأسرى : العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يعفه من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مكرها . وكان منهم أيضا :
أبو العاص بن الربيع ، زوج زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقد اقتدته رضى الله عنها بقلادتها ، فردت إليها ، واشترط عليه النبي
صلى الله عليه وسلم أن يمكثها من الهجرة إلى المدينة ، فوفى بشرطه ، وقد أسلم
قبل فتح مكة ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم زوجته . ومنهم من من عليه
النبي صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، كأبي عزة الجمحي الذي كان يثير بشعره
قريشا ضد المسلمين ، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفكك من
الأسر ، على أن لا يعود لمثل ذلك ، فأطلقه على هذا الشرط .

ومن قتلى قريش أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف . وعقبه وشيعة
ابناربيعة ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، والجراح والده
أبي عبيدة .

وأما شهداء بدر الأربعة عشرة ، فمنهم ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، فن المهاجرين : عبيدة بن الحارث ، وعمير بن أبي وقاص . ومن الأنصار : عرف ، ومموذ أبناء عفراء الخزرجيان ، وهما اللذان قتلا أبا جهل ومنهم سعد بن خيصة الأوسى ، أحد النقباء في بيعة العقبة .

وهذه الغزوة الكبرى التي انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر مع قلة عددهم وعدادهم . وكثرة عدد العدو وعدده ، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى ، بالمسلمين الصادق المزعومة ، الممتلئة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى وثقة بما وعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفوز والنصر .

ولقد دخل بسببها الرعب في قلوب كافة العرب فكانت للسلدين عزاً ووهية وقوة .

غزوة أحد

بعد أن مضى على غزوة بدر عام كامل ، وكانت عير قريش لم تنزل موقوفة يدار الندوة ، اجتمع من يق من عظامهم إلى أبي سفيان ، وانفقوا على أن يتركوا ربح أموالهم في تلك العير استعداداً للحرب برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار . فاجتمع منهم ثلاثة آلاف رجل : وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وغيرهم وخرجوا بالقيان والدفوف والخور . ومعهم هند امرأة أبي سفيان . وخمس عشرة امرأة ليشجعنهم . وساروا حتى وصلوا إلى ذي الحليفة بالقرب من المدينة وقد كان العباس بن عبدالمطلب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكتاب يخبره فيه بخروج القوم . فجمع عليه الصلاة

والسلام أصحابه وأخبرهم الخبر واستشارهم في البقاء بالمدينة حتى إذا قدم إليها قاتلوهم فكان رأى الأكثرين الخروج للقاء العدو .

ففي يوم الجمعة لعشر خلون من شوال في السنة الثالثة من الهجرة . صلى الجمعة بالناس وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر ثم دخل حجرته فلبس درعين . وتقلد السيف وأتى الترس وراء ظهره . ولما خرج للناس بعدة هذه . قال بعض من أشار بالخروج : تنفع ما عرضته من البقاء فقال « ما كان لنبى لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، ثم عقد الألوية واستعرض الجيش . وسار بألف رجل حتى منتصف الطريق بين المدينة وجبل أحد^(١) ، فرجع عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المأفقين في ثلاثمائة من أصحابه ، ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد ، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة ، وقد نزل المشركون ببطن الوادى ، بالقرب من أحد ، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرماة وكانوا خمسين رجلا فجعلهم خلف الجيش على ظهر الجبل ، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم ، ثم عدل الصفوف وخطب في الجيش بالنصائح والمواعظ ، ثم خرج من صفوف المشركين فبرز له الزبير بن العوام فهتله ، وقتل على بن أبي طالب حامل لواء المشركين وهو حمزة أوطاة وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يطلب الممازة فهم أبو بكر أن يبرز إليه ففنه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً له « متعنا بنفسك يا أبا بكر » .

(١) . أحد : جبل في شمال المدينة

ثم التقت الصفوف ، وجعلت نساء قريش يهزرن الدهفوف ، وبشدن الأشعار تهيبجا لرجاهن ، فدارت رحى الحرب . وكانت العلبة للمسلمين . إلا أن الرماة لما رأوا انكشاف المتسركين ، ترك أكثرهم مكانهم الذى أمروا ألا يتحولوا عنه وتحولوا إلى العسكر وحلوا طهر المسلمين للعدو ، واشتغل بعض الجيش بالغنائم . فاختلفت الصفوف فتحولت فرسان المشركين بقيادة خالد ابن الوليد وجاءهم من خلفهم ، فأصابوا فيهم وأذيع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأضعف ذلك من عزائم الجيش ، وانهمز جماعة من المسلمين وانكشف مكان النبي صلى الله عليه وسلم للعدو فأصابته الحجارة ووقع لشقه فأصببت رباعيته (١) وجرح وجهه وشفته ، ودخلت حائمتان من المغفر (٢) في وجنتيه ، وأحاط به الكفار ، فدافع دونه خمسة من الأنصار وعاد إليهم فئة من المسلمين ، حتى أجلوا الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ممن امتاز في المدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو طلحة الأنصارى الذى ثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو دجانة الذى كان النبل يقع في ظهره وهو منتحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن أجلى الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه كعب

(١) الرباعية : هى السن التى بين الناب والثنية .

(٢) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ، وقد عاجل أبو عبيدة

ابن الجراح نزع هاتين الخلقتين من وجه رسول الله ﷺ حتى نزعهما وكسرت في ذلك ثلثتاها رضى الله عنه .

ابن مالك الأنصاري فشرع ينادى يامعشر المسلمين أبشروا فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسكت . ثم سار عليه الصلاة والسلام نحو الشعب ، بن سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعلى . وطلحة ، والزبير ، وغيرهم . وجاءت فاطمة الزهراء رضى الله عنها فغسلت عنه الدم ، وضمت جروحه . وأقبل أبي بن خلف من المشركين يقول أين محمد ؟ لانيحوت إن نجا . فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم بحربة فوقع عن فرسه وأصيب في عنقه ، ومات بسبب ذلك (١) . ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلو صخرة من الشعب . لينظر جماعة من المشركين . فلم يتمسك من القيام بنفسه ، فأعانه طلحة بن عبد الله حتى أصدده على الصخرة فرأى جماعة من المشركين على ظهر الجبل . فقال : لا ينبغي لهم أن يعلو ما فأرسل إليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأزلوهم . وقد صمد أبو سفيان ربه ونادى بأعلى صوته : إن الحرب ببجال ، يوم بيوم بدر . أعل هبل (٢) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يجيبه فأجابه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله : الله أعلى وأجل لاسواه . قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار . فلما سمع أبو سفيان صوت عمر . قال هلم إلى ياعمر . وأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه ، فقال أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، ثم نادى أبو سفيان : إن

(١) ولم يقتل بيد رسول الله ﷺ أحد غيره ، لاني هذه الغزوة ولاني غيرها .

(٢) هبل : اسم صنم لهم .

موعدكم بدر ، العام المقبل ، فأجيب من قبل المسلمين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، نعم ، هو بيننا وبينك موعد (١) ثم انصرفوا ، وتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى وأمر بدفنهم ، وعاد إلى المدينة في منتصف شوال .

وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين في هذه الغزوة سبعين شهيداً . منهم أربعة من المهاجرين ، والباقون من الأنصار ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون .

وجعلت زوجة أبي سفيان ومن معها من النساء يمتلن بالشهداء ، فجدعن الأذان والأنوف ، واتخذن منها قلائد ، وبقرت زوجة أبي سفيان بطن حمزة ولا كت كبده ، تشفياً من نكابتهم في غزوة بدر .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة بلبية واحدة أن يخرج معه - لتعقب العدو - كل من حصر هذه الغزوة ، فلما شعر أبو سفيان بذلك هم أن يعود المشركين للقاء المسلمين ، فقبل له إن محمداً قد أقبل في جميع أصحابه ، يخاف واثنى عن عزمه ، واستمر راجعاً إلى مكة وأقام رسول الله ﷺ بأصحابه في حراء الأسد (٢) ثلاثة أيام وعاد إلى المدينة بعد أن تأكد من انصراف المشركين إلى مكة .

(١) وقد أخلف أبو سفيان مواعده فلم يخرج في العام التالي ، وأما النبي ﷺ فقد خرج في ذلك العام إلى بدر ولم يلق أحداً ، وسميت هذه الغزوة غزوة بدر - الأخرى أو الصغرى .

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة .

غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

كان بين المسلمين من الخزرج وبين يهود بني النضير المجاورين للمدينة عهد على التناصر ، فكان اليهود عهدهم من المسلمين ، حيث هموا بقتل النبي ﷺ فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم في السنة الرابعة للمجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم ، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم ، ولم يقر لهؤلاء اليهود قرار بعد ذلك فذهب جمع منهم إلى مكة وقابلوا رؤساء قريش واتفقوا معهم ومع قبيلة عطفان على حرب المسلمين ، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة ، وتجهزت عطفان ومن تبعهم من أهل بجد ، وتحزبوا جميعاً على محاربة المسلمين حتى بلغ عددهم جميعهم عشرة آلاف عارب قائدهم العام أبو سفيان فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم ، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق في شمال المدينة من الجهة التي توتى منها المدينة فخفروه وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين أمام الخندق واستمروا على هذه الحالة ، يترامون بالنبل بضعا وعشرين ليلة ، وقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حراسا على الخندق لثلاثا يقتحمه الأعداء ليلا وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه ، ولما طالت المدة افتحم جماعة من المشركين الخندق بنحيلهم ، فنهزم من وقع فيه فاندق عنقه ، ومنهم من برز له بعض شجعان المسلمين فقتله . وقد استمرت هذه الحركة يوما كاملا .

ثم بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قريظة القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهود ، فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والذراري . ولما علم المسلمون بأمر بني قريظة اشتد وجلهم ، لأن العدو قد أصبح محيطة بهم من الخارج والداخل ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبث بين الأعداء يفرق جموعهم بالخدعة والحيلة ، حتى استحكم الفشل بينهم ، وغاف بعضهم بغنا وأرسل الله تعالى عليهم ريحا باردة في ليل مظلم ، أكفأت قلوبهم ، وطرحت آياتهم فارتحلوا من ليلتهم ، وأراح الله تعالى هذه الغمة التي تحزبت فيها الأحزاب من قبائل العرب واليهود على المسلمين ، وكانت هذه الحادثة بين شهرى شوال وذى القعدة من شهور السنة الخامسة للهجرة ، واستشهد فيها من المسلمين ستمائة و قتل من المشركين ثلاثة .

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلع لباس الحرب حتى خاصر بني قريظة ، لحياتهم ونقضهم العهد ، واستمر محاصرا لهم خمسا وعشرين ليلة حتى كادوا يهلكون ، ولم يروا بداً من التسليم لما يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضوا بأن ينزلوا على حكم سيدهم سعد بن معاذ . فحكم بقتل رجالهم وسبي نسايتهم وذراريهم وأخذ غنائمهم ؛ فحس الرجال في دور الانصار حتى حضرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها . وكانوا نحو سبعمائة رجل وبذلك أراح الله المسلمين من شر مجاورة هؤلاء الأعداء .

غزوة الخديبية وصلحها

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة ، وفي السنة السادسة خرج إلى بني الحيان الذين قتلوا عاصم ابن ثابت ومن معه ، فوجد القوم قد تفرقوا إلى ذى قرد . لرد إغارة عينة ابن حصن على لقاحه صلى الله عليه وسلم ، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل ثم إلى بني المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجوع فزهمهم وعثم منهم أموالا وسبايا .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة . وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف وخمسمائة ، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محاربا ، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة في قربها ، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام إلا بالسيوف مجردة فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان (١) فجاءه من أخبره أن قريشا اتفقت على صد المسلمين عن مكة وتجهزت للحرب ، وأخرجت خالد بن الوليد في مائة فارس ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فسار المسلمون من أسفلها . حتى وصلوا إلى مهبط الخديبية (٢) فبركت نافته صلى الله عليه وسلم فأمر أصحابه بالنزول ، وهناك جاء رسول من قريش يسأل عن سبب مجيء

(١) موضع على مرحلتين من مكة .

(٢) الخديبية : بئر بقرب مكة .

المسلمين ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بمقصده . فلما رجع إلى قريش لم يثقوا به ، فأرسلوا آخر ، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع ، وقال لقريش : إن القوم جاءوا معتمرين ، وما ينبغي أن يصدوا ، وما ينبغي أن تحج لحنم وجذام وحمير ، ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب ، فلم تسمع قريش لقوله وبعثوا آخر ، فرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه . فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى . وقال : إنى والله ما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه . فتسكلم القوم فيما بينهم وقالوا : زده عامنا ويرجع إلى قابل .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فى جوار رجل من بنى أمية ليعلمهم بقصده ، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة ، فقالت قريش إن محمدا لا يدخلها علينا غرة أبداً . ثم منعوا سيدنا عثمان رضى الله عنه ومن معه من الرجوع ، وشاع بين المسلمين أنه قد قتل ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة على القتال فبايعوه على ذلك ^(١) وبعث المشركون طلائعهم ، فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا .

ولما سمعت قريش بهذه البيعة ، خافوا أن تدور عليهم الدائرة ، فأرسلوا أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكالمة فى الصلح ، وبعد أن أطلقوا

(١) وكان ذلك تحت شجرة سميت بشجرة الرضوان . وسميت هذه البيعة أيضا بيعة الرضوان .

سبيل سيدنا عثمان ومن معه أطلق المسلمون من أسروهم. واتفق معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد الصلح ، وهى أربعة أمور : ترك الحرب بين الفريقين عشر سنين ، وأن يرجع رسول الله والمسلمون من عامهم دون أن يدخلوا مكة ، فإذا جاء العام الثانى دخلوها بدون سلاح سوى السيوف فى القرب ، وأقاموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج مها قريش ، وأن من أتى المسلمين من قريش ردوه إليهم ، ومن جاء من المسلمين لا يلزمون برده وأن من أحب أن يدخل فى عهد المسلمين دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه ، وأملى النبي صلى الله عليه وسلم ، على على بن أبى طالب فكتب بذلك وثيقة . وقد رضى المسلمون بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تألموا من بعض هذه الشروط . ثم تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من عمرتهم ، وعادوا إلى المدينة ، وقد نزلت فى هذه الحادثة سورة الفتح .

مراسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك

بعد صلح الحديبية

بعد تلك الهدنة التى تمت بصلح الحديبية ، أمن المسلمون شر قريش وأصبحت طرق المواصلات مع سائر الجهات متيسرة فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة وتعميمها ، فكتب ملوك الأراض يدعوهم وأهمهم إلى الإسلام ، واتخذ له خاتما نقشه (محمد رسول الله) .

فبعث دحية الكلبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم ، وكان بالقدس ، فلما

وصله الكتاب ، وكان أبو سفيان بالشام في تجارة ، استدعاه فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان : هو فينا ذونسب ، فسأله : هل تكلم بهذا القول أحد قبله ؟ فقال لا ، فسأله : هل كنتم تهمونه بالكذب فقال لا ، فسأله : هل كان من آباءه ملك ؟ فقال لا . فسأله : هل أشرف الناس يتبعونه أم ضعفائهم ؟ فقال بل ضعفائهم فسأله : فهل يزيدون أم ينقصون ؟ فقال بل يزيدون ، فسأله : فهل يرتد أحد منهم كراهية في دينه ؟ فقال لا . فسأله : هل يذدر إذا عاهد ؟ فقال : لا ، فسأله هل قاتلتموه وكيف حربكم وحربه ؟ فقال حاربناه ، وكانت الحرب بيننا وبينه سجالا ، مرة لنا ومرة علينا فسأله : يم يأمركم ؟ فقال يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهى عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمر بالصلاة والصدق ، والعفاف ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة . فاستفتح الملك عما ذكر أنه نبي . وقال لأبي سفيان : إن كان ما كلمتني به حقاً . فسيمالك موضع هاتين . ثم جمع عظام الروم وحادثهم في اتباع هذا النبي فيفروا ، وقد غلب عليه حب ملكه فلم يسلم ، ورد دحية ردا جميلا .

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير بهصرى فلما بلغ مؤتة ، من قرى الشام ، تعرض له شرحبيل الغساني فقتله ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره .

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى أمير دمشق التابع لملك الروم فلما وصله الكتاب وقرأه رمى به ، واستعد لحرب المسلمين واستأذن ملكه في ذلك فلم يأذن له .

وأرسل عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل ملك الروم وكان بالإسكندرية ، فلما قرأ قال لحاطب: مامنعه إن كان نبياً أن يدعو علي من خالفه وأخرجه من بلده ؟ فقال له حاطب: أأست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله ؟ فلم لم يمنعه الله حين أحذنه قومه ليقتلوه ؟ فقال المقوقس لحاطب: أحسنت. ولقد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجد به بالساحر الضار . ولا بالكاهن الكذاب وسأناظر ، ثم كتب رد الجواب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام لا اعتراف فيه ولا إنكار وأهدى له جارين ، إحداهما مارية ، التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام وأتى منها بولده إبراهيم عليه السلام .

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى النجاشي ، ملك الحبشة . فلما نراه قال الرسول : إني أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعوانى بالحبشة قليل . وأرسل إلى كسرى ملك الفرس . فاستكبر ومزق الكتاب فزق الله تعالى ملكه كل مزق .

وأرسل إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم وأسلم معه بعض قومه وأقره صلى الله عليه وسلم أميراً من قبله على جهة البحرين .

وأرسل إلى جعفر وعبد الله ابني الجليلي ملكي عمان ، فأسلما بعد أن سألا عما يأمر به النبي وينهى عنه ، فقال لهما رسول النبي صلى الله عليه وسلم إنه يأمر بصاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وعمله الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوش والصلب .

وأرسل عليه الصلاة والسلام إلى هودبة بن علي نزلت اليه فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بعض الأمر ، فلم يجبه .

غزوة خيبر

ورجوع مهاجري الحبشة إلى المدينة وعمره القضاة وسرية مؤتة

بعد أن تم صلح الحديبية واستراح المسلمون من غزوات قريش ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح أيضا من أعدائه القريبيين الذين يترصون به الشر ، وهم أهل خيبر الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق فخرج صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في أول السنة السابعة للهجرة وكانت خيبر محصنة بثمانية حصون . فمسكروا المسلمون حارحوا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم أيرهمهم . فلما رأهم مصرين على القتال بدأهم بالمرامة واستمروا في المناوشة سبعة أيام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن موافقهم وتبعوهم حتى دخلوا أول حصن . فنهزم الأعداء إلى الحصن الذي يليه فقاتلوا عنه قتالا شديدا حتى كادوا يردون المسلمين عنه ولكن المسلمين اقتحموا عليهم هذا الحصن حتى ألبتوهم إلى الحصن الذي يليه وحاصروهم فيه ومنعوا عنهم جداول الماء فخرجوا وقاتلوا حتى انهزموا إلى حصن آخر ، وهكذا حتى لم يبق غير الحصنين الأخيرين ، فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن دماهم وأن يحرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يأخذ الواحد منهم إلا ثوبا واحدا على ظهره ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة من دروع ، وسيوف ورماح وأقراس ، وحلى ، وأثاث ومتاع ، وغنم وطعام .

وقد قتل من اليهود في هذه الغزوة ثلاثة وتسعون قتيلا ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدا .

وفي هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذراع شاة مسمومة ، فأخذ منها مضغته ثم لفظها ، حيث أعلمه الله تعالى أنها مسمومة وقد اعترفت تلك المرأة بما فعلت . وقالت : قلت إن كان نبيا لن يضره ، وإن كان كاذبا أراحنا الله منه ، فعفا عنها صلى الله عليه وسلم .

فتح فدك

وبعد فتح خيبر أرسل صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك فصالحوه على أن يتركوا أموالهم ويحرقن دماءهم فأجابهم لذلك .

رجوع بقيه مهاجري الحبشة إلى المدينة

بعد رجوع المسلمين من خيبر . قدم من الحبشة بقية من كان فيها من المهاجرين منهم : جعفر بن أبي طالب ، وأبو موسى الأشعري وقومه . بعد أن أقاموا بها عشر سنين .

وقد أسلم بعد غزوة خيبر ثلاثة من عظماء الرجال : خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعثمان بن طلحة العبدي .

عمرة القضاء

ولما حال الحول على صالح الحديبية ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الذين صدوا معه عن البيت عام الحديبية ، ليقضوا تلك العمرة التي صدوا عنها - حسب عمدة الحديبية ، فلما وصلوا إلى مكة خرجت منها قريش ودخلها المسلمون وقضوا عمرتهم ، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا إلى المدينة بسلام .

سرية مؤتة (١)

في منتصف السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف مقاتل. للاقتصاص من عمرو بن شرحبيل أمير بصرى من قبل الروم . لقتله الحارث بن عمير الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، فلما بلغ هذا الجيش أرض « مؤتة » قابلهم الروم والعرب المنتصرة في مائة وخمسين ألفاً ، وكان قائد المسلمين زيد بن حارثة فقتل فتولى القيادة جعفر بن أبي طالب فقتل ، ثم عبد الله بن رواحة فقتل . وكان هذا الترتيب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن استشهد من سماه النبي صلى الله عليه وسلم اتفق الجيش على تولية خالد بن الوليد . فجعل يحادع الأعداء حتى أتى الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا .

(١) هي أول حرب بين المسلمين والروم .

فتح مكة ونتائجه

كانت بطون خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كانت بنو بكر بن وائل في عهد قريش ، وكانت بين هذين الحيين دماء فتار بنو بكر على خزاعة وساعدتهم قريش بال سلاح والأ نفس وقاتلوهم . فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من خزاعة ، وأحبروه بنقض قريش للعهد ، فلما أحست قريش بما فعلت ، جاء منهم أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوى العهد ويزيد في المدة ، فلم يجبه إلى ذلك ، وتأكدت المسلمون من نقض قريش للعهد ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتجهزوا ، وكتّم عنهم الوجه ، فاجتمع لذلك عشرة آلاف من المسلمين من المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب ، وخرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضت من شهر رمضان في السنة الثامنة للهجرة ، وساروا حتى نزلوا بمر الظهران ، بقرب مكة ، بدون أن تعلم قريش بوجهتهم . وكان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجراً إلى المدينة بأهله ، فقابله عليه الصلاة والسلام في الطريق فأرجعه معه ، وبعث بعياله إلى المدينة ، وبينما جيش المسلمين بمر الظهران ، إذا حرج أبو سفيان . ومعه آخران يتجسسون الأخبار ، لما يتوقعونه من عدم سكوت المسلمين على نقض العهد ، فظفرت بهم جنود المسلمين ، وكان أول من لقي أباسفيان العباس ابن عبد المطلب ، فأخذه معه حتى وصل به إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه وحمله للعباس ، فلما أصبح أسلم وشهد شهادة الحق . فقال العباس : يا رسول الله إن أباسفيان رجل

يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » .

ثم أمر العباس أن يقف بأبي سفيان حيث يسير الجيش حتى ينظر إلى المسلمين ، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة حتى انتهت وانطلق أبو سفيان إلى مكة مسرعاً ، ونادى بأعلى صوته : يا معشر قريش لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون^(١) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة بمن معه من كدى^(٢) ودخل صلى الله عليه وسلم ومن معه من كداء^(٣) ونادى مناديه : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك جماعة أهدر دماهم لشدة ما ألحقوه بالمسلمين من الأذى .

وقد صادف جيش خالد بن الوليد في دخوله مقاومة من طائفتي قريش فقَاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين ، واستشهد من فرقته اثنان ، وأما فرقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصادف مقاومة ، وقد دخل عليه الصلاة والسلام راكباً راحلته وهو منحن على الرحل ، تواضعاً لله تعالى وشكراً له عز وجل على هذه النعمة العظيمة ، وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشرين حلت من رمضان .

(١) جبل بمحلة مكة .

(٢) جبل بأسفل مكة من جهة اليمن .

(٣) جبل بأعلى مكة .

واقصد نصبت له عليه الصلاة والسلام قبة في الموضع الذي أشار بأن
تركز فيه الراية فاستراح في القبة قليلا ، ثم سار وهو يقرأ سورة الفتح ،
وبجانبه أبو بكر ، حتى دخل البيت ، وطاف سبعا على راحلته ، واستلم
الحجر بمحجنه ، وكان حول الكعبة أصنام كثيرة ، فكان يطعنها بعود
في يده ويقول :

(جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد)

وبعد أن تم رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه أمر بالأصنام فأزيلت
من حول الكعبة ، وطهرت الكعبة من هذه المعبودات الباطلة ثم أخذ عليه
الصلاة والسلام مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة الشيبى ، ودخلها
وكبر في نواحيها ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ، ثم جلس في المسجد
والناس حوله ينتظرون ما هو أمر به في شأن قريش ، فقال عليه الصلاة
والسلام « يا معشر قريش ، ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيراً ، أخ كريم
وابن أخ كريم ، فقال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ورد مفتاح الكعبة لساكنها ، ثم
خطب في الناس خطبة أبان فيها كثيراً من أحكام الدين ، وبعد أن أتمها
شرع الناس يبايعونه على الإسلام ، فأسلم كثير من قريش .

ومن أسلم في ذلك الوقت : معاوية بن أبي سفيان وأبو جحافة والد
لصديق وأسلم بعض من أهدر رسول الله ﷺ دمه في ذلك اليوم وبايع
لقبلت بيعته ، وبعد أن تمت بيعة الرجال بايعه النساء .

ثم أمر رسول الله ﷺ بلائاً أن يؤذن على ظهر الكعبة وكانت هذه
أول مرة ظهر فيها الإسلام على ظهر البيت .

وقد أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً أرسل في أثنائها خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً ، لهم هيكل (الزى) وهو أكبر صنم لقريش ، وأرسل عمرو بن العاص لهدم (سواع) وهو أعظم صنم لهديل . وبعث آخر لهدم (مناة) وهو صنم لخزاعة .

غزوة حنين

بهذا الفتح دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا في دين الله أفواجا غير أن قبيلتي هوازن وثقيف أخذتهم العزة والأنفة وتجمعوا للحرب المسلمين في مكة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لهم في اثني عشر ألف مقاتل ، وهو أكثر جند جنده عليه الصلاة والسلام ، فلما وصل جيش المسلمين إلى وادي حنين كان العدو كامناً في شعابه ، فقاموا على المسلمين قومة رجل واحد قبل أن يتمكن المسلمون من تهيئة صفوفهم فانهمزمت مقدمة جيش المسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ عمه العباس أن ينادى في الجيش بالثبات فاجتمعوا واقتتل الفريقان ولم تمض ساعات حتى انهزم الأعداء هزيمة شديدة وقد قتل من ثقيف وهوازن نحو سبعين ، وغنم المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وإبل .

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف بالطائف . فحاصرها مدة ولم يفتحها . وبعد رجوعه منها أتاه وهو بالجرمارة وفود من هوازن ، يلتمسون منه رد نسائهم وأبنائهم الذين سباهم المسلمون فقال عليه الصلاة والسلام : ما كان لي ولبي عبد المطلب فقد رددته إليكم ، فقال المهاجرون

والأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردت إلى هوازن نساؤهم وأناؤهم .

ثم قام عليه الصلاة والسلام من الجعرانة إلى مكة معتمراً . فأدى العمرة وعاد بعد ذلك إلى المدينة ، فوصلها لست بقين من ذى العقدة .

غزوة تبوك

أقام عليه الصلاة والسلام بالمدينة إلى منتصف السنة التاسعة للهجرة ، ثم بلغه أن الروم يتجهزون في تبوك لحربه بعد ما كان بينهم وبين المسلمين في حادثة «مؤتة» فتجهز عليه الصلاة والسلام لغزوهم في ثلاثين ألف مقاتل وكان المسلمون إذ ذاك في زمن عسرة وجذب فلم يعقهم ذلك عن التأهب لقتال الأعداء ، وتصدق أبو بكر لذلك بجميع ماله . وعثمان بن عفان بمال كثير ، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل تبوك ، فلم يجدهم بها ، فأقام هناك بضع عشرة ليلة ، ثم قفل إلى المدينة، وهذه آخر غزواته صلى الله عليه وسلم.

نتيجة الدعوة من مبدئها

إلى انتهاء الغزوات والسرايا

وفي ذلك بيان وفود العرب التي وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم لقد كانت الدعوة إلى الإسلام في مبدئها سرا وخفية ، والذين دخلوا في الإسلام إذ ذاك أفراد قليلون ، وبعد الجهر بالدعوة أخذ عددهم يزداد قليلاً قليلاً إلى أن أذن له صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، فازداد عددهم

بدخول عرب المدينة ومن حولها في الدين وحدانا وجماعات. ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تم صلح الحديبية بين قريش والمسلمين : فكان ذلك الصلح سبباً كبيراً من أسباب فشو الدعوة وعمومها . حيث أمنت الطرق . وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمم والقبائل . ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعظم قريش في الإسلام . وانتشار القرآن بأسلوبه البديع وحكمه البالغة ، الماثرين في عقول العرب ذلك التأثير الذي لانت به شكيتهم . وشرعوا يقدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا ، وقد كان أكثر ذلك في السنة التاسعة للهجرة .

فمن ذلك وفد (ثقيف) ، جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه من « تبوك » يريدون الإسلام وطلبوا أباها عليهم وأشياء أعطاهم ووفد (نصارى نجران) وهو لاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية ووفود (بنى فزارة) قدموا على النبي ﷺ مسلمين .

ووفد (بنى تميم) ، جاء إلى النبي ﷺ أشرافهم ونادوه من وراء الحجرات ، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم ، أسلموا وعادوا إلى أوطانهم .

ووفد (بنى سعد بن بكر) يؤمهم خنم بن ثعلبة الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة وأجابه عنها فأسلم وعاد إلى قومه فابق منهم أحد إلا أسلم من يومه .

ووفد (كندة) في مقدمته الأشعث بن قيس ، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة « الصافات » .

ووفد (بنى عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعاً .
ووفد (بنى حنيفة بن ربيعة) فأصلوا ، وكان فيهم مسيلمة بن حنيفة
الذى لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الدار الآخرة .

ووفد (على من قحطان) يقدمهم زيد الخليل ، وقد أسلموا جميعاً .
ووفد (بنى الحارث بن كعب) ، فيهم خالد بن الوليد جاءوا مسلمين .
ووفود آخر من قبائل شتى . من (بنى أسد) و (بنى محارب) و (همدان)
و (غسان) وغيرهم ، ومنهم من جاء مسلماً ومنهم من جاء للإسلام وأسلم ،
ورسل من ملوك حمير وغيرهم جاءوا يخبرون بإسلامهم .

وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجا ، حتى بلغ من كانوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة أكثر
من مائة ألف ، والذين لم يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر
من ذلك أضعافاً مضاعفة (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة
لأهلى الأبصار) .

حجة الوداع

بعد أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، بعث أبا بكر
الصديق رضى الله عنه في ذى القعدة إلى مكة ، سنة تسع من الهجرة ،
ليحج بالناس ، وفي أواخر ذى القعدة من السنة العاشرة ، قام عليه الصلاة
والسلام إلى مكة في جمع عظيم ، وأحرم للحج عندما سارت به راحلته ،
وقال : لبيك اللهم لبيك ، لأشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك

لاشريك لك ، ولم يزل سائراً حتى دخل مكة ضمنو- يوم الأحد . لأربع خلون من ذى الحجة ، وكان دخوله من ثنية كداء . فظاف بالبيت سحاه ، واستلم الحجر الأسود ، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ، وشرب من ماء زمزم وسمى بين الصفا والمروة سبأ ، راكباً على راحلته ، وفي الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى ، فبات بها ، وفي التاسع منه توجه إلى عرفة وخطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع ابتدأها - بعد الثناء على الله تعالى - بقوله :

« أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لأدري لعلي لألقاكم بعد عامي هذا . في موافق هذا ، » ثم قال « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها . »

ثم قال « أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحد تكراهونه بيوتكم إلا ياذنكم ، ولا يأتين بفاحشة . أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة . ولا يحمل للأمريء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه فلا تراجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله الأهل بلغت ؟ اللهم اشهد . »

ثم قال « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، » وقد اشتملت هذه الخطبة العظيمة على خير ذلك من أحكام الله تعالى وحدوده .

وقد أنزل الله عليه في ذلك اليوم قوله سبحانه وتعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .
وبعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج : من رمى الجمار والنحر ، والحلق ، والطواف ، أقام بمكة عشرة أيام ، ثم قفل إلى المدينة صلى الله عليه وسلم .

أوصافه وشماله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل الخلقة ، زهرى اللون ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر ، عظيم الرأس عظاماً مناسباً لبقية أعضائه ، شعره بين الجعودة والسبوطة كأنه مشط فتكسر قليلاً ، لا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذالم يقصره ، واسع الجبين ، أزج الحواجب بدون اقتران ، في وسط أنفه ارتفاع قليل من غير طول فيه ، ليس بضيق النخم ولا واسع ، رقيق الأسنان مفلجها ، أسبل الخدين ، غزير شعر اللحية ، جميل العنق .
عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر .
وكان معتدل الأعضاء في سمن معتدل ، ليس بمسترخى اللحم طويل الزندين ، رحب الراحتين ، ممتلىء الكفين والقدمين ، متجاف الأخصيين ، ليس في قدميه غضون ولا تشقق .

وكان متوسط القامة . إذا مشى رفع رجله بنشاط وأوسع في خطاه ومال إلى سمت المشى برفق ووقار . وكأما هو في مشيته ينزل من مكان منحدر وكان يخافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء

وإذا التفت التفت جميعاً ، جل نظره الملاحظة يتأخر عن أصحابه في المشي ويبدأ من لقه بالسلام .

وكان منزهاً عن الأقدار والعيوب . معتدل الحركات ، حسن الشمائل ، مقتصرأ . من ضرورات الحياة - كالأكل والنوم - على قدر الحاجة ، وكان وافر العقل ذكي اللب . قوى الحوامس . فصيح اللسان . بليغ القول حليماً عفواً . صبوراً على ما يكره ، لا يفضب إلا الله ، ولا ينتصر لنفسه ولم يضرب يده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله فلم يضرب غلاماً ولا امرأة .

وكان شجاعاً ، ذا نجدة وقوة ، لا يهاب أحداً . ولا يفر حيث تفر الأبطال وكان جواداً كريماً سمحاً سخياً .

وكان أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاء ، لا يشافه أحداً بما يكره ، فلم يكن فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا صخاباً بالأسواق ، ولا عياباً لا يجزى بالسيئة سيئة بل يعفو ويصفح .

وكان حسن العشرة ، كامل الأدب ، واسع الخلق ، دائم البشر . لين الجانب رءوفاً رحيماً يكرم كريم كل قوم ، ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد بشره ، يتواضع في غير منقصة ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبهم . لا يحسب جلساه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها . أو بميسور من القول ، قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواء .

وكان يجيب من دعاه ولو عبداً أو أمة ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافئ عليها .

وكان يخالف أصحابه ويحادثهم ويعود مرضاهم ويمازحهم أحيانا
ولا يقول إلا حقا ، وكان من خلقه الوفاء ، وحسن العهد ، والعدل ، والأمانة
والعفة ، والصدق ، والمروءة .

وكان في أعظم حالات الوفاق والتؤدة ، وحسن السمات .

وكان في خوف ربه وطاعته له عز وجل . وإخلاصه في عبادته
بالمرجة التي ليس بعدها غاية . صلى الله عليه وسلم .

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

في أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة مرض النبي صلى الله عليه وسلم بالحملى ، واستمر ثلاثة عشر يوماً ينتقل في بيوت أزواجه ، ولما اشتد عليه مرضه استأذن منهن أن يتمرض في بيت عائشة ، فأذن له ، ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ولما رأى الأنصار اشتداد مرضه أطافوا بالمسجد قلة من ، فخرج عليه الصلاة والسلام ، معصوب الرأس . يخط برجليه متوكئاً على عليّ والفضل ، يتقدمهم العباس ، حتى جلس في أسفل مرقة المنبر ، وأحاط به الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم؟ ألا إني لاحق بهم وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، إلى أن قال : « ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا فان موعدكم الحوض ، ألا فن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي » .

وبينا المسلمون في صلاة الفجر يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بهم . إذ برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سحف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر إليهم وهم في صف؛ ف الصلاة وتدسم ، فظان أبو بكر أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة ، فتهقر إلى الصف وكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم فر-ا برسو. الله صلى الله عليه وسلم

فأشار إليهم بيده أن أتوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم حضرته الوفاة ورأسه الشريف على نخذ عائشة رضى الله عنها ، فقال « اللهم الرفيق الأعلى ، ولم تأت ضحوة ذلك اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة الدنيا ولحق بربه عز وجل .

ولم يكن أبو بكر رضى الله عنه موجوداً في ذلك الوقت بالقرب من منزل عائشة ، فلما حضر وأحبر الخبر ودخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل يقبله ويبكى ويقول : صلوات الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حياً وميتاً . ثم خرج إلى الناس وقال ألا إن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقمية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه ، وليلة الأربعاء ، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم وتفرغوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه ، فغسله على بن أبي طالب بمساعدة العباس وابنيه الفضل وقثم ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، ووضع على سريره في بيته فدخل الناس يصلون عليه فرادى لا يؤمهم أحد ثم حفر اللحد في موضع وفاته من حجرة عائشة ورش بالماء وأنزل فيه على العباس وولده الفضل وقثم ، وقدر فع قبره الشريف عن الأرض قدر شبر . وقد بلغ عمره الشريف ثلاثاً وستين سنة ، مكث منها بمكة ثلاثاً وخمسين

سنة ، وبالمدينة المنورة عشر سنين ، صلى الله عليه وسلم وكرم

بمحمد الله تعالى تم كتاب (ملخص السيرة النبوية)

اطلبوا من مكتبة مضي بوامدنى الكتب الآتية :

المولد النبوى الشريف
للشيخ نافع الجوهرى الخفاجى
به نشأة الرسول وصفاته وشمائله من يوم مولده عليه الصلاة والسلام
الثن ٦ قروش.

المغنى لابن قدامة
عشرة أجزاء
ورق جيد مقاس كبير بتحقيق الشيخ طه الزين
وعبد القادر عطا والشيخ محمود فايد
الثن ٢٠ جنيه

الرسالة المحمدية
بقلم الأستاذ محمود عبد الوهاب فايد
ورق جيد الثمن
٥٠ قرشا

العبادة
للشيخ الأكبر محي الدين بن عربى
تحقيق وتعليق
أستاذ عبد القادر عطا
الثن ٢٥ قرشا

فهرس

| ص | الموضوع |
|----|--|
| ٢ | نسب النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه |
| ٣ | مولده صلى الله عليه وسلم وزمن ولادته ومكانها ووفاة والده ﷺ |
| ٤ | رضاعه ﷺ وما حصل في زمن الرضاع |
| ٥ | حادثة شق صدره ﷺ ورجوعه لأمه |
| ٦ | وفاة أمه ﷺ وكفالة جده وعمه له |
| ٦ | سفره ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام |
| ٧ | رحلته إلى الشام مرة ثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد |
| ٨ | زواجه ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد |
| ٩ | بفية أزواجه صلى الله عليه وسلم |
| ١١ | شهوده ﷺ ببناء الكعبة |
| ١٣ | معيشته ﷺ قبل البعثة |
| ١٤ | شئ مما أكرمه الله تعالى به قبل البعثة |
| ١٥ | تعبدته ﷺ قبل البعثة |
| ١٦ | بده الوحي وفترةه وعودته وكيفية الوحي وطرقه ومبدؤه وتاريخ النبوة والبعثة المحمدية |
| ١٩ | الدعوة إلى الإسلام سرأ |

| ص | الموضوع |
|----|---|
| ٢٢ | الجهر بالدعوة |
| ٢٧ | أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة |
| ٢٩ | بيعة أسل المدينة |
| | هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضى |
| ٣١ | الله عنه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة |
| ٣٦ | الإسراء والمعراج |
| ٤١ | الغزوات — أسباب الغزوات ومشروعية القتال |
| ٤٣ | غزوة بدر الكبرى |
| ٤٧ | غزوة أحد |
| ٥٢ | غزوة الخندق — وهى غزوة الأحزاب |
| ٥٤ | غزوة الحديبية وصلحها |
| ٥٦ | فراصلة الرسول ﷺ للملوك بعد صلح الحديبية |
| ٥٩ | غزوة خيبر |
| ٦٠ | فتح فدك |
| ٦٠ | رجوع بقية مهاجرى الحبشة إلى المدينة |
| ٦١ | عمرة القضاء |
| ٦١ | سرية مؤتة |

| ص | الموضوع |
|----|--|
| ٦٢ | فتح مكة ونتائجها |
| ٦٥ | غزوة حنين |
| ٦٦ | غزوة تبوك |
| ٦٦ | تفجئة الدعوة من مبدئها إلى انتهاء الغزوات والسرايا |
| ٦٨ | حجة الوداع |
| ٧٠ | أوصافه ﷺ وشماله |
| ٧٣ | مرض رسول الله ﷺ ووفاته |

